

الفصل الخامس

البناء التنظيمي للشخصية

- ١ - مستويات الشعور الثلاثة
- ٢ - مكونات الشخصية عند كارل يونغ .
- ٣ - الوظائف الثلاث للشخصية: الهو ، والأنا ، والأنا الأعلى .
- ٤ - سيكولوجية الأنا: توسع وظائف الأنا .
- ٥ - القلق والدفاع .
- ٦ - اتجاهات بارزة في تطور نظرية التحليل النفسي .

obeikandi.com

البناء التنظيمي للشخصية

سوف نبحث في هذا الفصل تنظيم الشخصية وبنائها الدينامي ، وسنبداً بمناقشة المفهوم المركزي حول الدافعية اللاشعورية . لم يكن فرويد أول من تحدث عن اللاشعور (Whyte1960) . ولكن تركيزه على متغيرات الشخصية التي لا نعيها كان لها التأثير الأكبر في الدراسة العلمية للشخصية . وقد لاحظ فرويد أن الإنسان تعرض إلى ثلاث ثورات عاصفة وهي :

ثورة كوبر نيكوس واكتشافه بأن الأرض ليست مركز الكون .
وثورة داروين واعتباره الإنسان والكائنات الحية الأخرى خاضعة لقانون التطور .

ثم نظرية فرويد نفسه التي وعّت الناس إلى حالة اللاشعور ، لقد تبين لنا كيف أن سلوكنا يتأثر بقوى وعوامل داخلية لا نعيها وتكون خارج مجال تحكمننا وضبطنا الواعي .

ثلاثة مستويات للشعور

Three Levels of Consciousness

يقول فرويد: يوجد ثلاث مستويات لحالة الوعي أو الشعور:

١ - الشعور Consciousness ، وما قبل الشعور preconsciousness ، والمستوى الثالث وهو اللاشعور unconsciousness .

يضم الشعور كل ما نعيه ونشعر به في وقت ما . إنه مرتبط بحياتنا اليومية بشكل وثيق ، ووعينا لما نقوم به ، ويشير فرويد إلى أن جزءاً صغيراً جداً من أفكارنا وتخيلاتنا وذكرياتنا هي شعورية . أما ما قبل الشعور ، فيضم كل الأفكار التي لا نعيها حالاً ولا نشعر بها ، ولكن من الممكن استدعاءها بسهولة إلى ساحة الشعور والوعي ، فإذا كنت تفكر حول حدث ما ، فإنك تحاول التذكر وذلك منذ نهاية الأسبوع الماضي حيث تستدعي الوقت الجميل الذي قضيته في تلك العطلة إن المواد والذكريات التي استدعتها حالاً ، كانت في مستوى ما قبل الشعور ثم أصبحت شعورية عند تذكرها ، أما المستوى الثالث والأخير وهو اللاشعور ، فإنه يلعب دوراً هاماً ومسيطرأ في الشخصية . ويعتقد فرويد أن أكثر سلوكياتنا مدفوعة بقوى لا نشعر بها أبداً . لأنها خارج نطاق الوعي والشعور ، وعلى العكس من أفكار ما قبل الشعور ، فإن الأفكار اللاشعورية تدخل الشعور وتصبح واعية فقط بأشكال رمزية وغامضة . Disguised and Symbolic

٢- مكونات الشخصية عند يونغ

Jung's Division of The Personality

يتحدث يونغ عن ثلاثة مستويات للشعور في الشخصية :

الأنا الشعوري Ego consciousness ، واللاشعور الشخصي Personal Unconscious ، وأخيراً اللاشعور الجمعي Collective Unconscious

يضم الأنا الشعوري ، الإدراكات والأفكار والذكريات والمشاعر التي نعيها ونشعر بها .

أما اللاشعور الشخصي : فيضم الصور العقلية التي لا نعيها بالحال

ولكن من الممكن أن تكون جاهزة وتصبح في مستوى الأنا الشعوري . نحن لا نعي بعض محتويات اللاشعور الشخصي بسبب اهتمامنا بأمور أخرى أو بسبب عدم استخدامها . وهناك صور أخرى فيه تكون مكبوتة بفعالية لأنها غير مقبولة ومهددة للأنا الشعوري ، إن اللاشعور الشخصي يختلف في بعض مظاهره عما هو عند فرويد ، إن يونغ يرفض فكرة أن اللاشعور يضم ما هو « مؤلم ومشوه » « Monsteous » وأنه مخزن التجارب الماضية فقط ، وإنما يشارك أيضاً في المستقبل ، كما أنه يساعدنا في عملية التعويض ، وفي تكيف الشخصية إذا كانت الاتجاهات الشعورية صعبة التوجيه ، وهذا ما يسمح للنزعات والتوجهات المناقضة أن تحدث في الأحلام والتخيلات أو أحلام اليقظة (Jung 1969) .

الأنماط البدائية الأولية واللاشعور الجمعي :

Archetype And The Collective Unconscious

يعتبر اللاشعور الجمعي من المظاهر الرئيسية والمسيطرة في الشخصية عند يونغ . وليس له ما يقابله عند فرويد . إنه يمثل أكثر أفكار يونغ أصالة وجدلاً .

ويعتقد يونغ أننا لسنا فقط نتاج تاريخنا الخاص ، بل إننا نفكر ونتصرف بطرائق يشترك فيها جميع الناس خلال مراحل التطور المختلفة . إن هذه الاستعدادات التي تشكل الفكر العام هي الأنماط أو النماذج الأولية البدائية . والأنماط الأولية هي :

«البناء أو التشكيل المستنبط من حقيقة أن هناك تشابهاً واضحاً وملحوظاً ذا مغزى ودلالة في تخيلات الناس وأحلامهم جميعاً بثقافتهم وتاريخهم المختلف» ، (Steele 1982) . وهناك أربعة أنماط أولية تلعب الدور الرئيسي في الشخصية :

القناع (persona) وهو ما يمثل الشخصية كما تظهر للآخرين ، والثاني

الصورة المعكوسة أو الظل Shadow ويمثل نموذج غرائزنا الحيوانية وأفكارنا المؤذية غير المقبولة ، إن وظيفته تماثل الهود Id عند فرويد ويعتقد يونغ - كما يعتقد فرويد - بأننا جميعاً نملك الخواص الذكورية والأنثوية ، وبكلمات أخرى فإن الناس ذوو طبيعة ثنائية الجنس ، والثنائية الجنسية Bisexuality تتضمن نوعين من الأنماط الأولية هما: الأنيموس Animus وهو الجانب الذكري في شخصية المرأة ، والأنيما Anima وهو الجانب الأنثوي في شخصية الرجل. وهذه الأنماط الأولية قد تم وضعها في الجدول ٥ - ١ .

أمثلة عن الأنماط الأولية عند يونغ .

الأنيما	الموت
الأنيموس	البطل
الولادة	السحر
الطفل	القناع
الظل	

الجدول ٥ - ١ . أمثلة عن الأنماط الأولية البدائية عند كارل يونغ .

إن اللاشعور الجمعي هو واحد عند كل الناس ولكن الناس ، لا يتصرفون أو يسلكون بنفس الطريقة ، وردود الفعل تجاه الأوضاع المختلفة تحدد من خلال الأنماط الأولية المناسبة وكذلك من خلال الخبرات والتجارب الفردية .

والنمط الأولي للأم ، يدفع كل الأطفال للقيام بردود فعل وسلوكيات معينة اتجاه الأمهات (وكذلك لنماذج الأم ومن يشملها مثل الجدة أو الأخت الكبرى . .) بطريقة مميزة ، وهذا يتضمن إليها على أنها الداعمة المقدمة للغذاء والمستجيبة أو المشبعة لحاجاته ، وهكذا فإن إدراكات الأطفال وردود أفعالهم نحو أمهاتهم تتبع عادة النمط الأولي للأم Mether Archet - ype ، ويمكن للأم مثلاً أن تتعد عن هذا النمط أو الصورة العامة

وذلك بتجاهل طفلها ، ففي هذه الحالة سوف يختلف رد فعل الطفل عن النمط العادي للتفاعل المعروف بين الأم وطفلها .

إن دلائل اللاشعور الجمعي والأنماط الأولية تم التوصل إليها من خلال الدراسة الموسعة والمكثفة التي قام بها يونغ لكل من الأساطير والرموز العالمية والشائعة ، فهناك دعم غير مباشر للفكرة المتعلقة بنمو الخوف المرضي أو الفوبيا Phobia (الخوف غير المعقول Irrational Fear) ، ويناقش سليغمان (١٩٧١) أن هناك أنواعاً من الفوبيا المحددة تبدو أنها متعلمة بسرعة وتكون صعبة المحو أو الاختزال ، وفوق ذلك ، فإن الناس عموماً ، يخافون بشكل متطرف من أشياء متعددة كالخوف من الظلمة ، والثعابين ، والعقارب ، والأماكن المرتفعة والمناطق الفسيحة (سبيجلر ولايبرت ١٩٧٠) ، وكل هذه المخاوف ليست مهددة وخيفة للفرد في ظروفها الطبيعية . ولكن الناس غالباً ما يظهرون الخوف اتجاهها . وبالمقابل ، فإن سليغمان (١٩٧١) قد قال : إن هناك أحداثاً تكون مرتبطة بحدوث الفوبيا «متعلقة بجهد الإنسان خلال السياق الطويل للتطور والنشوء» .

وربما يكون الإنسان قد أعد للخوف من بعض الحوادث خلال صراعه مع الحياة .

وهذا الحكم يتضمن بشكل مباشر نظرية يونغ عن اللاشعور الجمعي «هل الاستعداد يمتد خلف التدايعات الرمزية البسيطة؟ هل يوجد طرائق للتفكير معدة خصيصاً ليستخدمها الإنسان؟ وهل هناك قصص معدة سلفاً ليشكلها ويعتمدها الإنسان؟ فإذا كان الأمر كذلك فإن المغزى للاشعور الجمعي يبقى متوارياً في الخلف .

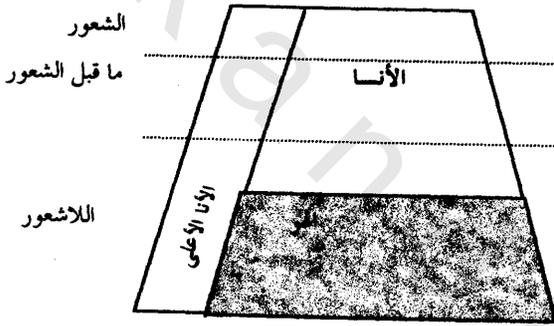
٣ - الوظائف الثلاث للشخصية (مكوناتها): الهو ، والأنا ، والأنا الأعلى

Id Ego Superego: Three Functions of personality

لقد نظم فرويد الشخصية في ثلاثة مستويات للشعور وذلك في نظريته المبكرة .

وكان تشديده الأولي على اللاشعور ، ولكن في فترة لاحقة ، حوالي عام ١٩٢٠ ، نَقَّحَ نظريته وأضاف جزءاً آخر للشخصية بمفهومها وهو المتعلق بوظائفها أو مكوناتها الثلاثة ، إن الوظائف المتعلقة بالهوية كلها لاشعورية ، في حين الأنا والأنا الأعلى تعمل بشكل رئيسي على المستويات الثلاثة للشعور (أي الشعور ، وما قبل الشعور ، واللاشعور). ويتفق هذا مع الدور الذي أعطاه فرويد للاشعور. إن هذه المكونات الثلاثة للشخصية أو وظائفها موضحة في الشكل ١-٥ .

ويمكن النظر للهو والأنا والأنا الأعلى من ثلاثة مستويات مختلفة: الأول: ، هو أنها أبنية (بناءات) فرضية نظرية Theoretical Censtructs ، وأنها لا توجد بشكل فيزيقي



الشكل ١-٥ العلاقة بين وظائف الشخصية (مكوناتها) ومستويات الشعور الثلاثة

أو عضوي (مادي) في الدماغ (ويعتقد فرويد أن كل الوظائف العقلية تتوضع في البناء العصبي ، ولكن نظريته لا تعتمد على مواضع محددة أو تشكيلات خاصة بالدماغ).

والثاني ، هو أن الهو والأنا الأعلى ، هي بناءات ، ولكن من المفيد أن نعتبرها كوظائف أو مظاهر للشخصية: إنها تمثل البحث عن اللذة والرغبة (Id) ، الواقع والمعقول (Ego) ، والأخلاقي المثالي (Super)

(ego) ، باعتبارها مظاهر وأجزاء للسلوك للإنساني . وثالثاً ، فقد اعتبرت مظاهر الشخصية هذه في كتابات التحليل النفسي على أنها قدرات إنسانية ، إنها تطالب وتلح فهي دوافع ، ثم إنها تتوسط وتحد أو تمنع . إن المحللين النفسيين لم يناقشوا هذه المظاهر الثلاثة للشخصية على أنها أناس صغار بداخلنا ، ولكنها الاتجاهات المناسبة لتشكيل الوظائف النفسية المعقدة .

أ- الهو - Id :

إن كلمة الهو Id قد أتت من مصدر ألماني هو Es وتعني ضمير الغائب It . ويعتبر الهو النظام الأصلي للشخصية حيث يضم كل المظاهر النفسية الموجودة منذ الولادة . إنه يضم كل الدوافع ، ويدفع الفرد للطاقة والعمل بشكل مباشر من خلال الحاجات الجسدية والعضوية . فالحاجات العضوية كالجوع والعطش شديدة واسعة ويجب إشباعها ، كما أنها تكون مرافقة بحالة توتر ، وحالة التوتر هذه تنتهي حين الإشباع . ولكن سيطرة دوافع الهو تجعل من الصعب تأجيل الإشباع ، وذلك بسبب كون الهو يعمل وفقاً لمبدأ اللذة وهذا ما يدفع الفرد للإشباع الذي يجلب اللذة ويُبعد الألم .

إن للهو طريقان لخفض التوتر: الفعل المنعكس Reflex Actio ، والعملية الأولية Primary process . في المستوى الأولي البدائي يعمل الهو بواسطة الفعل المنعكس . إنه يقوم برد فعل ذاتي وأني للإشارة الداخلية والخارجية للجسم ، عندها يتم استبعاد حالة التوتر بسرعة . إن الأفعال المنعكسة تشمل ميكانزمات أولية فطرية مثل العطس sneezing ، والسعال وحركات العين اللاإرادية ، إن الهو لا يتحمل أيّ تأخير في إشباعه بسبب التوتر ، ونحن نتوقع أن يبكي الطفل حين لا تُشبع حاجاته ، وربما يحتاج الطفل لأشياء من العالم الخارجي كالطعام والماء ، فإذا لم يكن ذلك متاحاً في الحال ، فإن العملية الأولية تشكل تصورات ذاكرية

لموضوع الحاجة. فعندما يجوع المولود مثلاً ، تتوارد صور وتخيلات الطعام. وهذه الخبرة تسمى إنجاز الرغبة ، وهكذا تبدو العملية الأولية. كأنها أداة فجة لا تميز بين ما هو مطلوب من أجل إشباع الحاجة وبين الصور الزاكروية للموضوع ، مثل الفرق بين الطعام والصورة (التخيل) العقلية للطعام. ربما يتم إشباع الدافع بشكل بديلي عن طريق الصورة الذاكروية ، ولكن العملية الأولية لا تعمل شيئاً من أجل خفض التوتر. ومن الواضح أن الشخص لا يمكنه الاستمرار أو البقاء على الصور العقلية والمتخيلة للطعام فإذا تم الإشباع حالاً - كما هو الحال قبل الولادة - فالعملية الأولية سوف تقود عملية الإشباع. ولكن قد لا تُشبع حاجاته حالاً بسبب عدم وجود الأم ، هنا سيصبح الطفل قادراً على الصبر والتحمل لدرجة ما من التأخير. عندها يبدأ بالتحقق من وجود عالم خارجي ، وهنا يتطور عند الطفل شيء مما يُسمى «ليس لي» وهذا ما يتم حين التطور والنمو ، والمرور في المظهر الثاني للشخصية ومكونها الآخر وهو الأنا.

ب- الأنا - Ego:

ينمو الأنا خارج نطاق الهو. إنه يستخدم بعض طاقة الهو النفسية لوظائفه الخاصة. حين الولادة ، تكون طاقة الأطفال النفسية في الهو ، وتستعمل من أجل العملية الأولية. ولذلك فالطاقة الخاصة بوظائف الأنا يجب أن تنشأ من الهو ، ولكن نموها وتطورها يكون خارجياً ، إن جهاز الطاقة. جهاز مغلق. فالنتيجة الهامة هي أنه عند نقل الطاقة النفسية للأنا ، فإن التقليل منها يبقى لوظائف الهو.

عندها يصبح الطفل أكثر قدرة وإرادة على الانتظار حتى يتم الإشباع. على العكس من مبدأ اللذة في الهو ، فإن الأنا يعمل وفقاً لمبدأ الواقع Reality principle. هنا تتحول اللذة إلى شكل بديلي وهو التوافق مع الواقع. ووفقاً لفرويد ، فإن الأنا يمثل العالم الخارجي. إن العملية الأولية للهو تشير إلى الموضوع أو الوضع الضروري لإشباع الحاجة

الخاصة والمحددة (صورة الطعام) ، بينما على العكس ، فإن العملية الثانوية Secondary process للأنا تنشئ طريقاً للإشباع الواقعي (الذهاب لمكان الطعام) . وهكذا فإن الأنا يتميز بالتفكير الواقعي وحل المشكلات . إنه يمثل العمليات العقلية . إن أحلام اليقظة : هي مثال عن العملية الثانوية التي تصور طبيعة الأنا المرتبطة بالواقع . نحن نعمل كأفراد وأعضاء في المجتمع ، ولعمل ذلك ، يجب أن نتعلم ، لا أن نتعامل بشكل مباشر وفقاً لمحددات الواقع الفيزيقي المادي فقط ، ولكن وفقاً للواقع الاجتماعي والمعايير الاجتماعية أيضاً . علاوة على ذلك ، يجب أن نتبع قواعد المجتمع ، وفي حوالي السنة الثالثة أو الرابعة من العمر ، يبدأ الأطفال بتقييم سلوكهم بشكل مستقل عن المكافأة والتهديد ، وهنا يبدأ المظهر الثالث للشخصية (أو مكوناتها الأخير) وهو الأنا الأعلى .

جـ - الأنا الأعلى - Superego :

إن الأنا الأعلى هو الممثل الداخلي لقيم الوالدين والمجتمع ، إنه يعمل وفقاً للمثل العليا وليس وفقاً للواقع ، إنه يحكم على السلوك إن كان صحيحاً أو خاطئاً ، متفقاً أم غير متفق مع القيم الأخلاقية ، بغض النظر عن النتائج .

إنه يزودنا بالدعم أو العقاب استناداً إلى طبيعة سلوكنا . فعندما تكون أفعالنا وأفكارنا مقبولة فإننا نخبر حالة من الاعتزاز والرضا والثقة . أما إذا كان سلوكنا غير مقبول ، فإننا نمر بحالة من الذنب والندم .

إن للأنا الأعلى ثلاث وظائف في حياة الراشد : إنه يساعد الأنا في تأجيل دوافع الهو وخاصة الجنسية والعدوانية ، وبذلك فالأنا الأعلى يعمل على كف Inhibit هذه الدوافع ، ثم إنه يحث الأنا للتوجه وفقاً للأهداف الأخلاقية وليس فقط الواقعية ، وهذا الحث يكون الأنماط المختلفة للسلوك الغيري والتضحية بالذات . وأخيراً فإنه يوجه الفرد للسعي نحو الكمال pursuit of perfection .

حتى هذا القرن ، كان يُعتقد بأن السلوك الأخلاقي هو صوت من الرب (براون ١٩٦٥).

ويعتقد فرويد أن الضمير الأخلاقي : Moral conscience يُكتسب بعد الولادة. إن الأنا الأعلى تنمو خلال عملية الاندماج وأخذ قيم الوالدين ضمن سلوكيات متشابهة. هذا الاستدماج Incorporation يبدأ حوالي الرابعة من العمر وهو مرتبط بشكل وثيق بحل عقدة أوديب. وعن طريق عملية التقمص يكتسب الطفل القيم الأخلاقية لوالده من نفس الجنس. وتقمص كلا الوالدين يحدث عن طريق عملية أخرى وهي التقمص الاعتمادي Anaclitic Identification وفيها يقيم الطفل ويقدر والديه بسبب من حالة الحب والعطف والطمأنينة التي يزودانه بها. عندها يقيم قيم ومثل والديه.

تفاعل الهو ، والأنا والأنا الأعلى:

لإيجاز نمو الشخصية نقول: إن الهو وحده هو الموجود حين الولادة ، وفي فترة لاحقة واستناداً إلى الإستجابة لمطالب الواقع ، يبدأ الأنا بالتشكل والنمو من الهو. وأخيراً فإن الأنا الأعلى هو الثمرة الحاصلة من الأنا ، إنه يمثل المجتمع في الشخصية ، وعندما تكون المظاهر الثلاثة قد نمت وتطورت ، فإن الطاقة النفسية التي تعود للهو تكون قد توزعت بينها جميعاً ، والأنا يتوسط القوى الرئيسية الثلاث: ١ - متطلبات وحاجات الهو. ٢ - متطلبات الواقع ، ٣ - التغييرات القادمة من الأنا الأعلى (انظر الشكل ٥-٢). فالأنا يبين أن الحاجات والدوافع الغريزية يتم مواجهتها واقعياً وبنفس الوقت بطريقة مقبولة اجتماعياً. إن أهداف أحد مكونات الشخصية أو وظائفها هذه ، ربما تكون في حالة نزاع مع أهداف مكون أو وظيفة أخرى أو الاثنين ، معاً ، في هذه الحالة يحدث ما يُسمى الصراع النفسي الداخلي Intrapyschic Conflict. وغالباً ما ينطلق الصراع بسبب مطالب الهو وحاجاته الضاغطة من أجل إشباعها ، ولكن

أهداف الوظائف والمكونات الثلاثة للشخصية قد تكون في حالة صراع نفسي ، وهذا موضح في الجدول ٥-٢ . والسؤال الآن كيف يتم حل الصراعات النفسية هذه؟

هناك ثلاثة احتمالات وهي : ١ - التقييد التام للدافع . ٢ - التعبير المباشر عن الدافع . ٣ - إعادة توجيه الدافع .



ضوابط وحدود الأنا الأعلى

الشكل ٥-٢ . الأنا يمثل مركز الشخصية (وسيطها) .

الصراع	مثال
الهو مقابل الأنا	الاختيار بين مكافأة آنية صغيرة وأخرى كبيرة تتطلب فترة انتظار.
الهو مقابل الأنا الأعلى	يقرر الفرد إعادة النظر لتبيان فيما إذا فاه حقه أو بحسبه إياه
الأنا مقابل الأنا الأعلى	الاختيار بين التصرف بطريقة واقعية (كذبة بيضاء أو الدخول وفقاً للمعيار الواقعي أو الممكن (قول الحقيقة دوماً).
صراعات بين الهو، والأنا، والأنا الأعلى.	يقرر الفرد فيما إذا كان يتصرف بطريقة واقعية يتنازعها رغباته الخاصة ودوافعه مع قواعد الضمير الأخلاقي.

الجدول ٥ - ٢: الصراعات النفسية الممكنة بين مكونات الشخصية ووظائفها الثلاث

لقد افتَرَضَ أن الدافع لا يمكن خفضه وتقييده (منعه من الإشباع) بشكل كامل ، ولكن من الممكن إبعاده banish عن الشعور ، ولكن ليس عن الشخصية ككل . أما التعبير المباشر للدافع فنادرأ ما يحدث حتى إذا كان من الممكن التعبير الكامل عنه ، فإن الارتباك والتشويش سيحدث في الأنا ، إضافة للإثارة وشعور الشخص بالقلق (الميكانيزمات الدفاعية التي تستخدمها الأنا لمنع ذلك ، وسوف نتحدث عنها لاحقاً بهذا الفصل) ولذلك فإن أكثر الصراعات النفسية الداخلية يتم التعامل معها والتكيف بها من خلال إعادة التوجيه Redirection للدافع نفسه .

وهذا يتضمن عملية تسوية وتعديل بين الوظائف الثلاث للشخصية ، مثلاً ، في الصراع بين الهو والأنا حيث يكون عند الفرد رغبة لضرب شخص ما قد أثار غضبه . ربما يختار بعض الكلمات البذيئة والسيئة التي يصفه بها .

إن الصراعات النفسية الداخلية هي جزء من وظيفة الشخصية السوية ، وحل هذه الصراعات ، هو عملية دفاعية يقوم بها الأنا ويتطلب طاقة نفسية . والأكثر نجاحاً هو أنه حين يخفض الأنا هذه الصراعات ويقلل منها ومن تأثيرها ، فإن طاقة أكبر تبقى للهو من أجل الوظائف العقلية الأعلى مثل حل المشكلات والمحاولات الإبداعية والنشاط الفكري .

٤ - سيكولوجية الأنا: توسع لوظائف الأنا وعمله . Ego psychology:

Expanding the functions of the ego

كثيراً ما وصف فرويد الأنا بأنه القوة المسيطرة في الشخصية . والدور الرئيسي للأنا ، وعلى نطاق أقل ، للأنا الأعلى ، هو التأكيد بأن دوافع الهو تكون ضمن نطاق التحكم وال ضبط ، وبذلك فالشخصية ليست كلها مدفوعة وموجهة بالرغبات والدوافع الغريزية . ومع نمو التحليل النفسي وتطوره ، بدئى واضحاً بأن هذه النظرة الدينامية الشخصية محدودة .

سيطرة الهو - والصراع الموجود بالشخصية ، هو التفسير المعقول لحدوث الأمراض النفسية وتطورها ولكن ليس للشخصية ذات التكيف السوي . من هذا النقص فإن سيكولوجية الأنا قد نشأت كجزء من التحليل النفسي (بلانك ١٩٧٤). تشدد سيكولوجية الأنا (علم نفس الأنا) على: التحكم السوي والتكيفي أكثر من الدفاع ، وعلى دوافع شائعة كالسيطرة والفعالية أكثر من مجرد الاقتصار على الدوافع الجنسية والعدوانية ، وأخيراً ، تشدد على الحتمية الشعورية أكثر من الحتمية اللاشعورية (Klein 1976,levine and slap 1985).

لقد وُصف هارتمان - H.Hartman (١٨٩٤ - ١٩٧٠) بأنه مؤسس سيكولوجية الأنا. ويعتقد هارتمان أن الأنا ينمو ويبقى مستقلاً بشكل جزئي عن الهو.

وقد اعترف بوجود الصراع بين الهو والأنا وضرورته. كما اعترف بالعمليات الدفاعية للأنا، ولكنه يعتقد بوجود ما يسميه «منطقة الأنا المتحررة من الصراع» «Conflict - Free Ego sphere» وهذا الجزء من الأنا لا يتواجد بنزاع مع الهو والأنا الأعلى والواقع الخارجي. إن سيكولوجية الأنا تهتم بكيفية تعامل الأنا لتتكيف مع الواقع من خلال التفكير والإدراك واللغة والإبداع والانتباه والتذكر. من هنا فإن علم نفس الأنا يعتبر رافداً مهماً لعلم النفس في نظرية التحليل النفسي. إنه يزود بنظرية كاملة لمدى واسع من العمليات النفسية (Loewenstein,Newman,Solnit 1966).

لقد شعر هارتمان أن سيكولوجية الأنا سيستقصي «كيف أن الصراع النفسي والنمو الداخلي الآمن يسهل ويكبح كل الآخر» إن تركيز سيكولوجية الأنا على الوظائف الشعورية ، وعلى السوية ، والتكيف والتعامل Coping السوي للشخصية هو على العكس من التشديد الكلاسيكي للتحليل النفسي على سيطرة الهو ، واللاشعور ، والشذوذ ، والوظائف غير السوية. مثلاً ، أحلام اليقظة تعتبر عملية ثانوية

Secondary Process يمكن أن تأخذ شكلاً تكيفياً محدداً. ويؤكد هارتمان (١٩٥١) أن «أحلام اليقظة لها دورٌ مثيرٌ حتى في التفكير العلمي». وهناك آخرون من علماء علم نفس الأنا مثل إيرنست كريس Ernest kris (١٩٥٠) يشددون على أن دور أحلام اليقظة في التفكير الإبداعي والفني يمكن أن يكون مُفسِّراً بشكل واضح وكامل إذا وُضعت الأنا على أنها جزءٌ مستقلٌ للشخصية التي يمكن إطلاقها بحرية.

لقد طور روبرت وايت Rober twhite (١٩٦٣) نظريةً في سيكولوجية الأنا. وقال إن الكفاءة والأداء ، وليس خفض الدافع ، هو الذي يمثل الدافعية الرئيسية Major motivation. وأن الدوافع الكلاسيكية (الجنس والعدوان) في نظرية فرويد يتم إرضائها من خلال خفضها . على العكس ، فإن دوافع الأداء والكفاءة ، Competence drives يتم إشباعها من خلال الإثارة . ويعني وايت (١٩٦٠) «قدرة العضوية على إنجاز العمليات مع البيئة والتي تنتج من خلال المحافظة عليها ذاتها وتطويرها وتهذيبها».

ويشدد وايت في بحوثه على أهمية دوافع الاستكشاف وحب الاستطلاع ، وحب المعرفة ، والإنجاز . . .

إن الفرق بين سيكولوجية الأنا عند وايت وسيكولوجية الهو عند فرويد قد تم توضيحه من قبل وايت الذي أعاد تشكيل وصياغة مراحل النمو النفسي - الجنسي الفرويدي .

ويركز وايت أيضاً (١٩٦٠) على نمو الأداء والكفاءة في أشكاله المختلفة عوضاً عن نمو الدافع الجنسي ، ويلخص الجدول ٥ - ٣ ، وجهة نظره عن هذا النمو . وربما تلاحظ تشابهاً مع المراحل النفسية التي وضعها أريكسون والذي يوصف أيضاً بأنه من علماء علم نفس الأنا (سيكولوجية الأنا) .

أمثلة عن الأداء والكفاءة	مفاهيم وايت	مفاهيم فرويد	
يتعامل المولود مع أي وكل موضوع يمكن أن يقابله أو يواجهه مباشرة.	التعامل مع البيئة	الطعام	المرحلة الفمية
من سنتين إلى ٣ سنوات: السلبية حيث لا يفعل ما يطلب منه. ويعمل أشياء وحده.	الاستقلالية	طرح الفضلات	المرحلة الشرجية
يتحرك بحرية وبراءة. يلبي حاجاته لفظاً ويستخدم اللغة في حديثه. أخذ أدوار متخيلة وخاصة للراشدين.	التحرك والتنقل اللغة التخيل	الوضع الأوديبي	المرحلة القضيبية
تكوين أصدقاء والتعامل مع أشكال الرفض الاجتماعي السير بنجاح في الدراسة والرياضة	مهارات اجتماعية مواجهة وتحديات حقيقية	لا يوجد نمو نفسي جنسي	مرحلة الكمون
فهم الذات في مصطلحات القوة أو الصنف وتطوير الثقة بالنفس تطوير مهارات عقلية يمكن استخدامها في الحياة.	الشعور بالهوية مهارات الحياة	السلوك الجنسي	البلوغ

الجدول ٥ - ٣: وبين إعادة صياغة وايت لمراحل النمو النفسي الجنسي الفرويدي

وتعتبر العلاقات مع الموضوع من المجالات ذات الأهمية في بحوث علماء سيكولوجية الأنا. في الواقع إن نظرية فرويد عن العلاقات بموضوع ، من الأمثلة المهمة عن سيكولوجية الأنا. إن الأنا المركزي Central Ego مستقل بمصدره عن الطاقة النفسية في نظرية فايربرين ، إنها

بناء الشخصية الوحيد. ونتابع البحث الآن في القلق ودفاعات الأنا ، في تكوين الشخصية.

٥- القلق والدفاع

Anxiety and defense

إن القلق أمر شائعٌ بيننا. في نظريته المبكرة (١٨٩٠) ، اقترح فرويد أن الليبدو والمكبوت يتم تحويله إلى قلق. وبعد ثلاثين سنة من ذلك التاريخ تقريباً ، عدّل فرويد نظريته إلى العكس. أي أن القلق يقود إلى الكبت Anxiety leads to Repression. وأخيراً (١٩٢٠) قال فرويد: إن القلق هو إشارة إلى خطر كامن ، ومصدر الخطر قد يكون داخلياً أو خارجياً.

ولكن فرويد يعتقد أن هذا بسبب دوافع الهو التي تحاول التعبير عن ذاتها من أجل الإشباع. فلماذا يعتبر هذا خطراً على الشخص ومصدراً للقلق؟

عندما يعجز المولود عن تأجيل الإشباع - قبل نمو الأنا - فإنه يتعرض للتوتر الناتج عن دوافع الهو. وهذا ما يحدث عندما لا يوجد مجالٌ لإشباع دافع الجوع.

وهذه الصدمة مترافقة بإثارة قوية تُسمى القلق الأولي Ptimaty anxiety.

ويتعلم الأطفال لاحقاً مواجهة هذا القلق ، مع أن القلق هنا أقل شدة من ذلك المترافق مع الخبرات الضاغطة الواقعية (عدم الطعام) فإن هذا القلق الإشاري أو الدلالي Signal anxiety ينبه الأنا لمنع حدوث الصدمة الضاغطة وما يرافقها من توترات. ويكون الأنا مدفوعاً لمواجهة الخطر بسبب كون القلق يؤذي ويشكل خطراً عليهم.

إن الاتجاه الجديد والبديل الذي عاصر نظرية فرويد ، هو نظرية أوتورانك .

فقد شدد رانك (١٩٢٩) على صدمة الميلاد Birth truma ، وهو الانفصال البيولوجي الأول للطفل عن أمه ، إنه نموذج الانفصال والفقدان والقلق في مراحل الحياة اللاحقة . وفي الواقع ، فإن فرويد (١٩١٦) قد قال نفس الفكرة في فترة مبكرة لنظريته ، ولكنه لم يشدد على دور صدمة الميلاد فيها .

إن أوتورانك (١٩٢٩ و ١٩٥٩) قد طوّر نظريته حول نمو الشخصية ، حيث اعتبر صدمة الميلاد الدافعية الرئيسية ، وقد افترض أن كل فعل سار ويبعث على الرضا يمثل العودة للحصول على لذة الرحم (السابقة للميلاد) . وفوق ذلك ، فإن السلوك الجنسي عند الذكر هو عودة رمزية إلى الرحم . لقد ميز فرويد بين ثلاثة أنواع للقلق الذي يحدث في مرحلة الرشد :

١- القلق العصابي Neurotic anxiety ، وينتج من الصراع بين الهو والأنا ، حيث يبحث الهو عن بديل لدوافعه ، والأنا الذي يحاول فرض تقييدات الواقع ومطالبه على هذه الدوافع . مثلاً: الدافع الملح كالتيبول يجب أن يبقى مكبوتاً حتى الوصول إلى التواليت ، ومثله دافع العطش والبحث عن الماء . . . الخ .

٢ - القلق الأخلاقي Moral anxiety ، وينشأ من الصراع بين الهو والأنا الأعلى ، حيث تكون دوافع الهو متعارضة مع المعايير الأخلاقية والمثالية وتؤدي بالفرد للشعور بالذنب والخجل .

٣ - القلق الموضوعي Objective anxiety ، نتاج التهديد الخارجي والواقعي الحادث مثل خطر التعرض للنيران .

في كل حالة ، تكون إشارات القلق متضمنة حالة خطر . ففي القلق الموضوعي يكون الخطر ومثيره خارجياً ، ويمكن مواجهته باتخاذ

خطوات واقعية تخفف حالة التهديد ، أما في القلق العصابي والأخلاقي ، فإن إشارة الخطر تكون داخلية - نفسية ، ويمكن التعامل معها بطرق داخلية أو وسائل ونعني بها ميكانيزمات أو آليات الدفاع الأولية التي يستخدمها الأنا .

ميكانيزمات دفاع الأنا : Ego defence mechanisms :

إن آليات الدفاع هي عمليات الأنا اللاشعورية ووسائلها التي تمنع الدوافع المزعجة وغير المقبولة من التعبير المباشر ، ولفهم وسائل الدفاع ، فإن من المفيد فحص هذه الآليات بشكل مستقل ، ولكن يجب أن نتذكر أن الناس عند استخدامهم هذه الآليات أثناء مواجهة القلق ، نادراً ما يستخدمون وسيلة أو آلية منفردة ، وغالباً ما يجمعون بين عدة وسائل :

١ - الإعلاء أو التسامي Sublimation :

وهو تحويل الدوافع غير المقبولة وتغييرها بحيث تصبح أنماطاً سلوكية مقبولة ومرغوبة اجتماعياً . فالأعمال الإبداعية كالرسم وكتابة الشعر هي نوع من التسامي الشائع لدافع الجنس . إن اللعب أو حتى مشاهدة الألعاب الرياضية مثل المصارعة والملاكمة هي إعلاء لدافع العدوان ، ويقول فرويد : إن الجراح قد تسامى بدوافعه العدوانية إلى سلوك مقبول اجتماعياً ، وكذلك الجزار . ويبدو الإعلاء على أنه آلية الدفاع الناجحة والحقيقية ، ونجاحها هو من خلال إعادة توجيه الدوافع غير المرغوبة إلى صورة أخرى تلاقي القبول والتقدير من المجتمع . إن كل وسائل الدفاع الأخرى ناجحة بدرجة ما ، وذلك لأنها تتطلب تفادي تهديد الدوافع .

٢ - الكبت Repression :

وفي الكبت يتم إقصاء للدوافع الخطيرة وإبعاد لها بشكل كامل عن مستوى الشعور . ولا يعني هذا أن الدافع المكبوت لم يعد له تأثير على الفرد . بل العكس هو الصحيح . إن الدافع يؤثر في السلوك كما تفعل كل

الدوافع اللاشعورية. ويتميز الكبت بمحاولته المستمرة كبح الرغبات الأولية كحل للصراع. والكبت كغيره من وسائل الدفاع الأخرى قد يحدث عند الأفراد الأسوياء والطبيعيين ولكن غالباً بعد دفع الثمن. فالطاقة النفسية المستخدمة للدفاع غير متاحة أو ممكنة من أجل الوظائف التكيفية كالمحاولات العقلية والاجتماعية. وفوق ذلك ، ففي حالة الكبت يكون الثمن كبيراً وشديداً. إن الدوافع المكبوتة ربما تكون سوية وصحية ولكنها مستقصاة باستمرار في نمو الشخصية.

مثلاً ، إبعاد كل الدوافع العدوانية ، ربما يحدث شخص سلبي وبليد بدرجة كبيرة ، إن الكبت أكثر وسائل الدفاع تميزاً وفجاجة. وقد اعتبره فرويد مرادفاً لدفاعات الأنا. ولكن يجب تمييزها عن وسائل الدفاع الأخرى وخاصة الكظم. فالكظم هو نسيان شعوري للحوادث غير السارة والأفكار المهددة.

الدليل التجريبي عن الكبت:

لقد جعل الكبت موضوعاً للعديد من الدراسات التجريبية والمخبرية (زوريل ١٩٦٥ ريشيل ١٩٥٥ ، زيلر ١٩٥٠). والتجربة النموذجية تم توضيحها في الجدول ٥ - ٤. حيث يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل.

ففي المرحلة الأولى ، احتفظ عدد من المفحوصين (من المجموعتين التجريبية والضابطة) بقائمة من الكلمات ، ثم تم اختبارهم لمدى تذكرهم واستعادتهم لها (اختبار الإعادة الأول). وقد تم معاملة المفحوصين بنفس الطريقة ، ولا فرق بين استعادة وتذكر المجموعتين التجريبية والضابطة.

وفي المرحلة الثانية ، تم مواجهة المجموعة التجريبية بموقف تهديد ذاتي. مثلاً ، أخذ اختبار للشخصية ثم تلقي تغذية راجعة سلبية (يشير الاختبار إلى أنه بحالة من القلق وأن المفحوصين يعانون القلق). والمجموعة الضابطة قد عرضت لمواقف مشابهة ولكن بدون مواقف تهديدية ، فقد أخذوا الاختبار الخاص بالشخصية ولكن مع تغذية راجعة

طبيعية (النتائج في المدى الطبيعي والسوي).

وفي المراحل التالية ، يتم إعادة تقويم تذكر المفحوصين للكلمات (اختيار الإعادة الثاني). في هذا الوقت الذي أعاد فيه المفحوصون ذوو المجموعة التجريبية الذين تعرضوا للتهديد الذاتي تم التوقع بإعادتهم وتذكرهم لعدد أقل وأدنى من المجموعة الضابطة .

والنتيجة: إن الكلمات التي أثارت القلق تعزى إلى التهديد الذي تم كبته . ووفقاً لنظرية الكبت ، إذا كان التهديد قد عدل وتم خفض القلق ، فإن المواد المكبوتة ستعود إلى الشعور . وفي المرحلة الثالثة من التجربة تم استجواب المفحوصين وقيل لهم: إنهم أعطوا تغذية راجعة كاذبة ، فاستعادة المفحوصين للكلمات تم اختبارها ثانية (اختبار الإعادة الثالث). ولا فرق في الإعادة بين أفراد المجموعتين تم توقعه عموماً ، كانت النتائج الموصوفة للتجربة ثابتة ومتوافقة مع نظرية التحليل النفسي . إن تهديد الذات قاد إلى أدنى درجة من الإعادة والتذكر في الاختبار ، وإزالة التهديد قد احتفظ بالتذكر والإعادة لمستوى ما قبل الاختبار الثالث (قبل التعرض للتهديد) وقد تم تفسير هذه النتائج على أنها براهين لمفهوم الكبت .

المرحلة الأولى	المجموعة التجريبية	الضابطة	التنبؤ	التفسير
تعلم قائمة الكلمات	تعلم قائمة الكلمات	اختبار الإعادة الأول	لا فرق بين المجموعتين	لقد عومسل المفحوصون بشكل متعادل
تهديد الذات	اختبار الإعادة الثاني	مهمة طبيعية عادية	التجريبية أعادت أقل من الضابطة	تهديد الذات والقلق الناتج قاد المجموعة التجريبية إلى كبت الكلمات المرتبطة بالتهديد.
إزالة التهديد	اختبار الإعادة الثاني	اختبار الإعادة الثاني	لا فرق بين المجموعتين	عندما أزيل التهديد قل الكبت وتذكر الكلمات وأعيدت لساحة الوعي

الجدول ٥ - ٤ : التصميم التجريبي لحدوث الكبت

٣- التشكيل المضاد (أو الرد المعاكس) Reaction formation :

إحدى الطرق لإزالة الدافع غير المقبول هي بالمبالغة في التركيز على جوانبه العكسية والمضادة في التفكير والسلوك. ربما يتعرض الفرد لتهديد بسبب رغبته في السيطرة والعدوانية في المواقف الاجتماعية ، وبذلك فإنه يعتقد ذاته أنه خجول وجبان وأنه يتصرف بسلبية ، إن السلبية والجبن أو الخجل هي الشكل المعاكس ضد دافع العدوان القوي عنده .

إن من الصعب أن نبين فيما إذا كان الفعل هو مظهر للدافع أم عكسه . إن من صفات الرد المعاكس الهامة هي في مقاومتها أو في تسهيلها وزيادتها لحدوث السلوك. فالشخص الذي يبدو متمزماً وخاصة الذي يستجيب للمغامرات الجنسية من خلال التحديق والنظرات المختلفة ربما يبدو مهيجاً ومثاراً مع الرغبة الجنسية الشهوانية .

٤- المحو أو الإبطال Undoing :

هو إزالة واستبعاد تجربة كريهة مهددة واقعية أو متوهمة بفعل رمزي مضاد. ويرى فيه فرويد «سحر سلبي» يقدم به الفرد شيئاً معاكساً لما فعله أو فكر به. وكان غير مقبولاً من الأنا عنده أو من مجتمعه ، وبذلك يسعى لإزالة هذا الفعل وما يرافقه من قلق وشعور بالذنب ، فالأم التي تعاقب طفلها وتشعر بالذنب نتيجة ذلك تحاول أن تمحو (تبطل) العقاب عن طريق إغراقه بالقبلات والعطف والحب. وبذلك فإن هذا السلوك يعوض بشكل رمزي عن دوافع الهو التي تهدد الأنا.

٥- الإسقاط Projection :

ويتضمن إضفاء وعزو الدافع أو الرغبات غير المقبولة على شخص أو شيء آخر. وقد وضح فرويد مثلاً ، على ذلك ، بالزوج الغيور الذي وصف زوجته بعدم الإخلاص في الواقع فالزوج هو الذي يحمل هذه الصفة ولكنه لم يستطع مواجهتها بنفسه .

الدلائل التجريبية على الإسقاط :

هناك نوعان من الإسقاط تم دراستهما تجريبياً (هولميس ١٩٧٨):
الإسقاط الكلاسيكي ويحدث عندما لا يعي الفرد Unaware الصفات السلبية أي تكون خارج نطاق شعوره ، ولكي لا يواجهها أو يعيها فإنه يدافع من خلال أنه يعزو وينسب هذه الصفات إلى شخص آخر ، وعادة ما يكون هذا الشخص غير محبوب من قبل الفرد. أما النوع الثاني فهو إسقاط العزو Attributive projection فإنه على العكس من السابق ، حيث يضيفي الشخص ويعزو خاصية أو صفة يعيها ويدركها Aware على شخص آخر ، إن هذا النوع للإسقاط ليس من مفاهيم التحليل النفسي. وهناك العديد من الدراسات التجريبية التي برهنت على أن الإسقاط الكلاسيكي يحدث في ظروف ومواقف متعددة. ففي إحدى الدراسات أتم بعض المفحوصين (طلاباً وطالباتٍ غير خريجين) استفتاء (واختباراً) كان قد صمم لتعيين دفاعاتهم الجنسية (Halpern 1977). ويتضمن الاختبار إجابات صح أو خطأ لبنود كالتالية «لا أمر بأحلام يقظة أو تخيلات جنسية أبداً» ، «لم أحلم أبداً أحلاماً ذات مضمون جنسي» إن الأحلام والتخيلات الجنسية تجارب يمر بها أكثر الناس ، وبذلك فإن استجابة المفحوصين بـ «صح» لأكثر عدد من البنود تشير إلى دفاعاتهم الجنسية. وبعد ذلك نظر المفحوصون إلى صور فوتوغرافية لطلاب الكليات وطلب منهم ترتيبها من الأكثر تفضيلاً حتى الأقل تفضيلاً. وفي هذه النقطة تم عرض صور إباحية عليهم وذلك للإثارة الجنسية ، بينما لم تعرض هذه الصور على المجموعة الضابطة ، وأخيراً فإن القياس التجريبي يتضمن تدرج المفحوصين لأنفسهم وللشخص الذي اختاروه من الصور الفوتوغرافية ، علماً أنه أقل تفضيلاً في مقياس الشخصية ، هذا المقياس يتضمن درجة الشبقية والرغبة الجنسية.

إن نظرية التحليل النفسي تبين أن المفحوصين الذين كانوا أكثر دفاعاً ،

عند إثارتهم جنسياً ، سيرفضون مشاعرهم من خلال إسقاطهم على الآخرين غير المرغوب فيهم ، فوق ذلك ، فإن الذين أظهروا درجة عالية من الدفاع في المجموعة التجريبية سيصفون الآخر غير المرغوب فيه على أنه أكثر شبكية ورغبة جنسية من المفحوصين الذين قلَّ استخدامهم لوسيلة الدفاع . في المجموعة الضابطة لا يوجد فرقاً بين عالي الدفاع (كثيره) . ضعيف الدفاع (قليله) من الناحية الجنسية . وهذا ما حَصَلَ بالضبط .

وفي دراسة أخرى تم تقديم تغذية راجعة كاذبة إلى مجموعة من الطالبات غير المتخرجات اللواتي يتميزن بنزعة «العصابية Neuroticism» (Sherwood 1979) ثم قُمنَ بترتيب شخص مفضل أو غير مفضل على مستوى العصابية . وكما تفترض نظرية الإسقاط ، فإن النساء اللواتي رفضن مستوىً عالياً من العصابية على أنفسهن ملنَّ إلى إضفاء العصابية على الشخص غير المرغوب به ، وأولئك اللواتي قبلنَّ وصف أنفسهن بالعصابية ، ملنَّ لإضفاء أو إسقاط العصابية على الآخر المرغوب فيه ، هذه الدراسة تبين عمل الإسقاط بنوعيه الكلاسيكي والنسبي (الوصفي) ، إنها أيضاً تشير إلى شيء ما حول الطبيعة المختلفة لكلا النوعين من أساليب الدفاع .

٦ - الإبدال أو التحويل Displacement :

بينما يتضمن الإسقاط عزو وإضفاء دافع أو صفة على شخص آخر ، فإن الإبدال يعمل على نقل دافع موجه مباشرة نحو موضوع غير مقبول أو مهدد إلى آخر مقبول وأقل تهديداً للذات ، والمثال على ذلك ، ذلك الشخص الذي تعرض للتوبيخ القاسي من مديره في العمل ونقل ذلك أو أخرجه نحو أفراد أسرته . إن إظهار الغضب والعدوانية نحو مدير العمل يبدو بوضوح أنه يجلب التهديد والرفض ، وبدلاً من ذلك فإن الشخص يعيد توجيهه نحو أفراد الأسرة الذين هم أقل تهديداً له . ووفقاً للتحليل النفسي ، فإن الإبدال وسيلة دفاع رئيسية في حالات الخوف المرضي

Phobia . وذلك لأن الفوبيا أو الخوف المرضي تبدأ بخوف حقيقي أو غير حقيقي من شخص أو شيء من الصعب تجنبه . والاتصال المتكرر مع نفس المثير المخيف يبعث على القلق . ومن أجل خفض القلق ، يلجأ الفرد للإبدال حيث ينقل الخوف إلى موضوع آخر من الممكن تجنبه بسهولة ويرتبط بصورة رمزية بالمثير الأصلي المخيف . ومثال فرويد عن الطفل هانز الذي له من العمر ٤ سنوات وأصبح يخاف الأحصنة ، وذلك لأنه يخاف والده بشكل واقعي . إن هانز قد نقل خوفه إلى الأحصنة التي هي رمز القوة وصورة الذكر . وهذا ما خفف القلق (الخوف) عند هانز لأن بإمكانه تجنب الأحصنة التي هي مثيرات تستدعي القلق .

٧ - النكوص Regressoin :

إن الهروب إلى سلوكٍ أكثر بهجة ورضا للفرد غالباً ما يستعمل لمواجهة الإحباط والتكيف معه To Cope With Frustration . ومواجهة القلق أيضاً . فالنكوص هو العودة لمرحلة مبكرة من النمو . ويكون إلى المرحلة ما قبل التناسلية في مراحل النمو النفسي الجنسي عند فرويد بالنسبة للراشدين . والمثال الشائع عن النكوص يتضمن الأحلام Dreaming ، والتدخين smoking ، والشرب والإفراط في الطعام Overeating والتحدث بما يشبه كلام الصغار . إن الأهمية الرئيسية للنكوص كطريقة للتكيف عند مرضى الكلية ، قد نوقشت بتفصيل عند علماء التحليل النفسي (Viederman 1974, Von Euen 1975) . إن مريض الكلية الذي عولج بطريقة الديليزة (الميز النشائي الهيماتيني ، حيث يتم عزل المواد الفاسدة بنشاء فارز Hemodialysis) . لقد تم وضع جهاز يعمل على فصل واستخراج المواد الفاسدة من الدم . وعادة يستعمل هذا العلاج لمدة خمس إلى ثماني ساعات مرتين أو ثلاث مرات أسبوعياً . وبدون هذا العلاج فإن المريض سيموت . إن التشابه بين الديليز الهيماتينية وعلاقة الأم بالطفل في المرحلة القمية قد تم إثباتها والبرهان عليها تجريبياً . لقد

استخدام فايدرمان Viederman (١٩٧٤) دراسة الحالة للمرضى الذين عولجوا بهذه الطريقة وقد انتهى للقول: إن التكيف مع أكثر ظروف العلاج توتراً ، يعتمد على قدرة المريض على نكوصه إلى المرحلة الفمية وتعامله مع صراعاتها. وقد تم التوصل إلى ما يشبه هذا الحكم من خلال البحث في نظام الحمية والريجيم الدقيق في علاج مرضى الكلية ، لقد فسر فون أوين (١٩٧٥) VON EUEN ، فشل المرضى في اتباع نظام الحمية الموصوف باعتباره مقاومةً بسبب الحرمان من الإشباع الفمي ، وهذا رمز لمطالب وضغوطات الوالدين الاعتبارية والاستبدادية .

٨ - التبرير Rationalization :

ربما يقوم الفرد بسلوك غير مقبول ، أو يفكر بطريقة مرفوضة تجلب التهديد ، وبعد ذلك يحاول التخلص Get red Of من القلق أو الذنب المرافق بإيجاد تسويغ معقول لهذا السلوك. هذه الطريقة للدفاع تُسمى التبرير أو التسويغ .

وغالباً ما تستخدم للحفاظ على تقدير أو قيمة الذات Self esteen . وتسمى هذه الطريقة العنب الحامض . فبعد أن فشل الذئب في الوصول إلى العنب قال عنه: إنه حامض . والتبرير عملية لا شعورية Unconscious process مثل كل ميكانزمات الدفاع الأخرى .

٩ - النكران Denial :

بقيت طريقة دفاعية أخرى للتعامل مع الخبرات والأفكار المؤلمة وهي رفض ونكران Deny وجودها . ربما يرفض الشخص الاعتقاد بأن الشخص الذي يحبه قد تُوفي . إنّه يتصرف كما لو أنه ما يزال موجوداً على قيد الحياة . والذين يتميزون بالإفراط في الطعام أو انعدام الشهية عندهم صورة مشوهة عن الجسم Distorted body image (Spiegler 1981) .

والشكل الأكثر انتشاراً للنكران يتضمن التخيلات (وأحلام اليقظة)

والتمثيل . إن أكثر الناس يفعلون ذلك من وقت لآخر . وربما نجد راحة مؤقتة من مشاكل الواقع عند استخدام التخيل والأحلام اليومية .
فالأطفال ينكرون ضعفهم من خلال اللعب ، كما يبدو الولد الصغير مثل الأب الصارم عندما يبني بيتاً بألعابه .

ميكانزمات الدفاع كوظائف للتكيف: Defense mehcanisms as : Adaptive functions

بالنسبة لفرويد ، يُعتبر الهدف الرئيسي لآليات الدفاع هو دفاع الأنا من هجمات دوافع الهو ورغباته . ويعتقد علماء سيكولوجية الأنا . أن وسائل الدفاع تلعب دوراً هاماً أكثر إيجابية وتكيفية . وقد أوضح هارتمان (١٩٥١) هذه النقطة فيما يتعلق بالنكران والرفض أو التجنب Avoidance «إن رفض البيئة التي تواجه بها الصعوبات وما يتعلق بها من إيجابيات كالبحث عن الاحتمالات الأكثر تفضيلاً - هو أيضاً الطريقة الفعالة ذات الطبيعة التكيفية المثمرة» مثلاً ، تأجيل الدراسة لامتحان الأخير بعيداً عن التكيف ، ولكنه قد يكون مفيداً عند النسيان المؤقت للموضوعات المتعلقة بالامتحان (نكران Denial) والانشغال بنشاط مختلف (تجنب Avoidance) قبل العودة إلى الدراسة .

٦ - اتجاهات بارزة في تطور نظرية التحليل النفسي

Trends in the evolution of Psychoanalytic theory

استمرت نظرية التحليل النفسي بالتطور منذ فرويد وأتباعه الأولين الذين اختطوا منهجه . وهناك خمسة اتجاهات عريضة لهذا التطور . وكلها قد أشرنا إليها في حديثنا ونقاشنا لنظرية التحليل النفسي .

أولاً: هناك اهتمام زائد في العوامل والمحددات الاجتماعية للشخصية ، وهذا يخالف الدور الغالب والمهيمن الذي أُعطي للدوافع البيولوجية والغرائز في التحليل النفسي الكلاسيكي .

ثانياً: اتساع الإطار الزمني لنمو الشخصية وتطورها أيضاً. فالعديد من علماء التحليل النفسي ينظرون لنمو الشخصية كعملية طويلة على مدى الحياة أكثر مما اعتقد فرويد بأنها تكتمل حتى نهاية الخامسة من العمر. وهذا التطور بجانب الفهم العريض لنمو الشخصية له تطبيقاته الهامة في العلاج النفسي (جيدو ١٩٧٩). «إن المريض في التحليل النفسي ، فيما يتعلق بالعمر ، ما يزال يخضع لعملية النمو المستمرة ، عكس الافتراض بأنه خاضع فقط لتأثيرات الماضي . . . فهناك الحياة الشعورية واللاشعورية الحالية» (Shan1977).

ثالثاً: إن العديد من المحللين النفسيين وخاصة علماء سيكولوجية الأنا ، يصف المظاهر الشعورية للشخصية أنها هامة بالمقابل فإن إحدى صفات نظرية فرويد هي الدور المهيمن للاشعور ، على الرغم من ذلك ما يزال التحليل النفسي يشدد على دور الدوافع والصراعات النفسية اللاشعورية أكثر من الاتجاهات والنظريات الأخرى الشخصية.

رابعاً: يشدد علماء التحليل النفسي الحاليين على الشخصية السوية Normal Persenlity أكثر مما فعلت نظرية التحليل النفسي الكلاسيكية. وهذا ما يبدو من خلال المفاهيم والدراسات المتعددة عن وظائف الشخصية السوية ، كما يفعل علماء سيكولوجية الأنا ، ومن خلال فحصهم للشخصية السوية بعيداً عن الشخصية المضطربة. وقد شددت الكلاسيكية على الصراع النفسي الداخلي والقلق والدفاع وعلى الاضطرابات النفسية ، بينما يشدد علماء سيكولوجية الأنا على الجانب الآخر وهو الجزء المتحرر من الصراع في الشخصية والذي يبقي الناس أسوياء نسبياً من خلال التعامل والتكيف الناجح Coping successfully مع القوى الداخلية والخارجية التي تشكل شخصياتهم ، وما يزال العديد من المحللين النفسيين والباحثين فيها من المعالجين النفسيين في تدريبهم وإعدادهم ومهنتهم. وكنتيجة يبقى التحليل النفسي استراتيجياً تميل نمو

التطور من الشخصية المضطربة (غير السوية) باتجاه الشخصية السوية .

خامساً: لقد ارتبط التحليل النفسي بشكل متزايد بالنظرية الرئيسية والبحث في علم النفس الأكاديمي (المدرسي). لقد بدأ خارج إطار الدوائر الأكاديمية التقليدية في الجلسات الخاصة والمعالجة النفسية. إن طرائق التحليل النفسي (تحليل الأحلام ، التداعي الحر ، التفسير . .) تبدو بوضوح - ليس كما يصفها علماء النفس الأكاديميون وذو التوجُّه التجريبي - بأنها شرعية ومنطقية وهامة .

ومنذ عام ١٩٣٠ هناك محاولات عديدة تربط التحليل النفسي بالنظريات والبحوث الجارية في علم النفس الأكاديمي ، وتحاول أيضاً الإثبات التجريبي لمفاهيم التحليل النفسي .

هناك توجه هام ورئيسي اليوم في علم النفس الأكاديمي لفحص العمليات المعرفية والعقلية ، ويسعى العديد من علماء النفس وبقوة لربط علم النفس المعرفي Cognitive psychology بالتحليل النفسي ما أمكن ، وأوضح علاقة هي في الحكم النهائي لعلماء علم النفس المعرفي ، بأن الناس يعالجون المثيرات أو المدخلات البيئية ويخترنونها ويرمزونها من خلال اللاشعور .

ولكن ، مع ذلك تبقى عمليات فعالة بدرجة عالية ومعقدة (Erderlyi, 1973) (Motley, baars, 978, Neisser 976, Nisbett Wilson, 77) .

ما يزال علماء التحليل النفسي يصرون على أهمية العمليات اللاشعورية ولمدة تفوق مئة سنة .

* * *